

ضوء جدير على الدين الدرزي

الحياة والمعيشة الدرزية

للأستاذ محمد خالد ظاظا

يقول الأستاذ (عنان) إن كافة الرواة أجمعوا على أن الحاكم ذهب (ضحية المؤامرة والجريمة المدبرة) مع أن أنصار الحاكم ومؤيدي مذهبه يدعون أن الحاكم ارتفع إلى السماء امتحاناً للمؤمنين ولم يقتل أبداً؛ وعن قريب سيعود من البلاد الصينية ومعه الجيوش الجرارة فيفتح هذه البلاد جميعها ويعيد الحالة إلى ما كانت عليه؛ وسوف لا يبقى إلا الديانة الدرزية الحققة. لأنه بحكم الواقع تلغى جميع الأديان عند قدومه. وهؤلاء المؤمنون نزحوا من البلاد المصرية وقطنوا البلاد الشامية في الجبال الشرقية منها، وأسسوا مدناً وقرى اشتهر منها السويداء ومجدل شمي وبعقلين. وقد كانت لهم هذه الجبال معازل تصد عنهم غارة الأمم الفاتحة حتى أصبح يخشى بأسهم وشدتهم، ولم يختلطوا مع الأقوام السورية، بل تجنبهم حتى أنهم لبثوا ليومنا هذا محافظين على تقاليدهم وعاداتهم برغم تطور الزمان وانقلاب السلطان، وبقيت هذه الديانة سرّاً مدفوناً إلى حين نشوب الثورة السورية في عام سنة ١٩٢٦ فأذاعت من أسرارهم وديانتهم ما خفي طيلة هذه الأعوام الماضية. فالدروز ثاروا ودافعوا عن بلادهم وساهموا بقسط وافر من الوطنية، واضطروا بحكم الشدة أن يتركوا بلادهم تفعل بها نيران القنابل والمدافع فعلموا، فلعبت الأيدي بكتبهم المقدسة وتراثهم المدفون وانتقلت هذه الكتب إلى أيدي الكثيرين.

وقد أكدلى أحد رجال الدروز العقل أن كتابهم المقدس الذي يسرون بموجبه ويتبعون أثره هو خلاصة عدة كتب مقدسة، أو بالأحرى خلاصة جميع الكتب الدينية ويزاد عليه بعض الحكم والنصائح. ويندر وجود هذا الكتاب عند كل درزي لأنه ينسخ ويخبا عند رئيس الدين الأكبر

بلا تفريق، وبقيت كتاباتهم يدرسها طلاب الأدب كما يدرسها باحثو التاريخ

بل بلغ غرام بعض الأدباء بالماضي، وشغفهم بتقاليده وأزيائه ومحبتهم لأفئداه وعظماؤه حدّاً بعيداً، وقد كان سكوت من ذلك الضرب الذي يحيا في الماضي وبجلائله ولآلائه وبطولته، ولا يكاد يلتفت إلى الحاضر أو يعني بالمستقبل، وفي ذلك العالم السالف كتب سكوت أحسن قصصه. وعمن كتب في الروايات والقصص التاريخية أيضاً تيسون وبروننج ودرنكور وروشو، وقد نرى موضوعاً تاريخياً حديثاً كالثورة الفرنسية، وقد تناولوه المؤلفون الانجليز من شتى النواحي، فحلل الحوادث الثورة وشخصياتها ككارليل، ومندد بمبادئها كبرك، ومرحب بتلك المبادئ مترنم بها كوردزورث، ومتخذ من قصة وليد تلك الثورة نابليون موضوعاً للملحمة طويلة كماردي، وهكذا تحيا حوادث التاريخ في أذهان مطالعي الأدب مضورة من شتى النواحي

ولا شك أن هذا التاريخ الأدبي، إذا سميناها كذلك، أجدر بالقرأة وأحق باهتمام المثقف من التاريخ المجرد، إذ في آثار الأدباء تحيا حقائق التاريخ وتدب فيها روح إنسانية جديدة وتتملى بالإمتاع، ويعود التاريخ والأدب وكلاهما مظهر لحياة الإنسان المطردة التطور والتغير، وتفكيره الدائب الحركة والتقلب، وفي هذا التاريخ الأدبي يرتبط الحاضر بالماضي، والقريب من الأمم بالبعيد، وتتقاصر مسافات الزمان والمكان، ولا يبقى إلا الإنسانية الشاملة، وهذه الإنسانية هي مجال كل فن صميم

هذا التاريخ الأدبي لم يعرف في العربية، فكان هناك المؤرخون وكان هناك الأدباء، ولكن كلا منهما كان مستقلاً عن الآخر استقلالاً كبيراً، ولم يكن الأدباء يعدون التاريخ مجالاً من مجالات أدبهم، أو مطمحاً من مطامع فنهم، يتكبرون في مجاله وينشئون، وما ذاك إلا لانشغالهم بالقرب الحاضر من شؤون العيش، عن البعيد المترامي من أمور الحياة وآفاق الفكر، لأن الأدب ظل أكثره بلاطياً يمدح الأمير ويحور رسائله، وكان الفوز بتلك الخطوة مطمح الأديب ووسيلته الكبرى إلى الظهور فإذا ما بلغ ذلك المكان لازم ذلك الضرب الوحيد من القول، ولم يصرف أدبه إلى التأمل في شؤون الماضي والمستقبل، وهكذا أغفل الأدب العربي التاريخ فيما أغفل من موضوعات هي صميم الفن، لوثيق صلها بالإنسانية

نعمري أبو السعود

والدروز لا صلاة ولا صوم مفروض عليهم ، ولا يعرفون شيئاً من أنواع الطرب لأنها معدودة عندهم من المنكرات المحرمة في الدين . وأقسامهم المخلطة هي : بالنبي شعيب واليعفوري ، والحدود الستة ، والحكمة المقدسة .

والنبي شعيب احترام عظيم في نفوسهم ولا يعتقدون إلا بنبوته دون كافة الأنبياء . وأما اليعفوري فهو أحد أوليائهم الصالحين ذوي الكرامات له مقام يقع بين قرية مسعدة وقرية مجدل شبي في القسم الجنوبي من سورية ، ويقصده الدروز من أماكن بعيدة للتبرك به والدعاء له . ولعل أغرب ما في مذهبهم أنهم لا يتزوجون من المسلمين ولا يزوجون بناتهم منهم بحجة أنه يسمح للسلم أن يتزوج بنصرانية أو يهودية ، أو يحق لمن يدخل في الدين الاسلامي أن يتزوج مسلمة مهما كان شأنها ، ولا يقبلون أحداً أن يدخل في دينهم مهما كان شأنه ، ولا يسمحون لأحد منهم أن يترك دينه ويدخل في دين آخر وإن فعل ذلك عرض نفسه للقتل المحتم . وإذا خطفت فتاة منهم يتحرون عنها حتى يحدوها فيقتلون الخاطف والمخطوفة خوف إفشاء السر . هذا إذا علموا مكانها .

والدروز ذو أجسام كبيرة وقامات طويلة ووجوه دموية يغلب عليهم الشجاعة ، يسترون رؤوسهم بالعمائم الكبيرة البيضاء ويحتدون الزربول ويلبسون السروال والصدريّة والعباءة ذات الأكمام القصيرة ، دياتهم عندهم إلى التقشف في كل شيء في الحياة رغبة في نوال الآخرة والجنة المعهودة .

وتحرم عليهم تعاطي المسكرات والملاذات وشرب الدخان ومن فعل ذلك منهم يطرد كما أوضحنا سابقاً . وأما النساء فيتلصصن بالشاشة البيضاء ولا يظهرن من وجوههن إلا عيونهن ويرتدين الثياب الطويلة حتى الأرجل ، والشرف هو الواجب الأول عندهن . وهن على العموم يتمسكن بأهداب الفضيلة وترك الرزيلة ...

محمد خالد طائلا

ولا يقرأ به إلا في الخلوة - أي الجامع . وكيفية قراءته أن الشيخ يجلس في صدر المكان ويلتف حوله السامعون بشكل حلقة مكتفي الأيدي ، مطأطي الروس والأبصار ، خاشعي البصائر ، يسمعون ما يقوله ، ويفعلون ما يأمرهم به . ولا يدخل في هذه الخلوة إلا من استكمل به درجة الرجولة التامة ، وبلغ مبلغ الرجال العقل ، وهم بحسب دياتهم ينقسمون إلى درجات ثلاث :

الدرجة الأولى : الجهال وهؤلاء لا دين لهم ولا يعلمون شيئاً من أمور الديانة الدرزية ، وهم على الأغلب دون الثلاثين

الدرجة الثانية : العقل ولا يصل الرجل منهم إلى هذه المرتبة إلا بعد أن يبرهن أمام القوم أنه أخلد للسكينة وترفع عن الأفعال الدنيئة . وعليه قبل أن يصبح عاقلاً أن يخلق رأسه بالموسى ويترك لحيته تسترسل في نموها نحو الصدر وكلما طالت كان أجره عظيماً ، وثوابه جزيلاً . وعليه أن يتعمم بالعمامة البيضاء الكبيرة .

الدرجة الثالثة : الأجاويد ، وهذه الطبقة هم الأكثر تفشفاً والأعظم أجراً ، وهم رؤساء الديانة الدرزية ومشايخ المؤمنين الموحدين ويبدون الأمر والنهي ، فإذا ما وجدوا أمراً ساءم من أحد العقل طردوه من الخلوة وأخذوا الدين منه . وبذلك يصبح المطرود لا دين له ، فلا يحق لهم الجلوس معه ولا السلام عليه ولا الأكل والشرب قربه ، يفر منه كل من يراه ، حتى أن عائلته تنفر منه وتكرهه ؛ وإذا مات في هذه الأثناء يموت مسلماً وتنقل روحه إلى كلب أو نصراني أو يهودي أو أي حيوان آخر . وأما إذا مات درزياً ومعه الدين فينال الحسنات وتنقل روحه إلى درزي آخر أو تذهب إلى بلاد الصين ، وهناك تعيش قرب الحاكم بأمره والأخوان الصالحين . ويعتقد الدروز بالتقمص ويقولون إن الروح تنتقل من رجل إلى آخر كما أسلفنا .

والمرأة الدرزية حكمها في الدين حكم الرجل ، ولها ثلاث درجات بخلاف مذهب النصيرية الذين لا يعطون للمرأة ديناً مطلقاً ، والدين عندهم من خصائص الرجال دون النساء .